نـافـذة

صناعة الخير

بين الخير والشر ثمة رباط وإن يكن تمييزه صعباً بعض الشيء، لكن ذلك ليس مستحيلاً تماماً على كل حال. إن عملاً كهذا لا شك يتطلب جهداً استثنائياً وبلا حدود، كذلك هو يتطلب قدرة فائقة على قراءة تفاصيل المسائل الشائكة في الحياة عموماً ومنها، على سبيل المثال، الخير والشر.

هنا قد يتفاوت الاستعداد بين شخص وآخر لخوض مثل هذه التجربة، وقد تتسع رقعتها، ولذلك تبدو المواقف بين الناس نسبية. ومع هذا فإن مجرد الشروع في محاولة الفصل بين الخير والشر في داخلنا بداية، يعد خطوة أولى ولكن بالغة الأهمية من حيث المبدأ، وذلك لاكتشاف مَن نحن أولا على حقيقتنا، ومن ثم مَن هم الذين حولنا على حقيقتهم بالدرجة الثانية. المهم هو السعي بحثاً عن الخير، أين هو بالضبط وأين هو المعادل المعاكس له أين هو الشر؟

ونحن نعلم أن الإنسان عند ولادته يكون نقياً تماماً من الشوائب. بيد أن من طبيعة الحياة أن تحمل إليه بعضاً من تلك الشوائب مع مرور الزمن، وذلك بفعل النشأة في بيئة لها مواصفاتها الخاصة، كما الأسرة، كما المدرسة، كما المجتمع في آن واحد. وبمقدار ما تكون البيئة نقية، كما الأسرة والمدرسة والمجتمع، يكون الإنسان الذي يتأثر بما يحيط به، ذلك لأن الخير كما الشر، انعكاس لما يشتمل عليه المجال الذي يحيط بالإنسان في نهاية المطاف.

وبطبيعة الحال، لا بد من الإشارة إلى عوامل المواجهة أو الرضوخ الكامنة في نفس الإنسان وعقله، فإما أن يستسلم أو يرفض وإما أن يغلب الشر الذي فيه أو الخير الذي فيه. ودائما نزعة الاستسلام إلى الغريزة كما هو معروف، قادرة على تحويل مسار صاحبها تحت تأثير المغريات. ودائما ينجم الصراع بين نزعة الشر ونزعة الخير، ودائما أيضاً تكون الغلبة للجانب الذي يتخطى الانزلاق إلى خندق الخطيئة إذا كان هذا الجانب محصناً بالتربية، سواء أكان ذلك في إطار البيئة أم الأسرة أم المدرسة أم المجتمع.

وفي هذا المنحى يكون الوعي تحديداً لدى الإنسان هو البوصلة التي توصله إلى صناعة الخير وإقصاء نزعة الشر من ذاته قبل إنزال العقوبة عليه في حال غلبته نزعة الشر.

ولإمكانية صناعة الخير، نقرأ للروائي والمسرحي والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (١٩٠٥ – ١٩٨٠) نقرأ قوله: تعلمني أن الخير مستحيل أنا أراهن إذاً على أنني سوف أصنع الخير.

هذه الإمكانية متاحة في تقديرنا لكل من يؤمن بأن الإنسان لم يولد شريراً، بل جاء إلى الحياة خالياً من كل ما يشير إلى ذلك، وبقي على هذا المنوال إلى أن تضافرت عوامل أخرى جعلته، أحياناً ضائعاً بين الخير والشر.

د. اسكندر لوقا

أبا ثائر... لا يستثني فلذات الأكباد

الشهيد ثائر العجلاني ... استمطار الرحمات لوطن لا يتوقف عن العطاء

إسماعيل مروة

أبا ثائر
به أناديك يا صديقي وقد أحببت النداء
به أسترحمك لاستمطار الرحمات على روحه الطاهرة
له نطلب الرحمة أم منه نطلبها؟
نترحم عليه أم نرجو أن نُرحم بفضله وفضل بذله
أبا ثائر الجميل
صديقنا المحب على الدوام
الفرح المحب للحياة
المنتمي المحبّ لوطنه وأرضه
حرقة أب يودّع ابناً أحبه وخاف عليه
لوعة أب وهو يرى أجزاء ابنه تلفّ حوله
حرقة ولوعة.. وقدر لا يرحم الآباء
ولا يستثني فلذات الأكباد
ولا يعترف بالأعمار
آه يا أبا ثائر كم كنت فخوراً بما صنع الأبناء
وفي آخر جلسة قلت:
هو الذي اختار الإعلام
ناقشته ولكنه لم يقتنع إلا بأن يكون ميدانياً
مازحته: وأين دورك الأبوي؟
فقال لي: أنا خايف عليه، لكنه هو يحب
وأنا أدعو له فقط
دعاؤنا لا يجدي يا أبا ثائر
نحن نحتّ الخطا إلى خط النهاية
نرسم أقدارنا
نقرر نهاياتنا بإرادتنا
بعزمنا
هذا ما أراده ثائر
وهذا ما قاله لكنك لم تشأ أن ترفض
لم تشأ أن تغير قراره
لم تملك القدرة على منعه من الافتداء
من الشهادة
ودمعة أم تترقرق
وحرقة قلب يعجز عن التنهّد
سيدتي الطيبة أم ثائر
السيدة هدى الحمصي
قد لا يعلم الكون مقدار فجيعتك
أنت الأم
وما من أم تحلّ محل الأم
أحببته ليس كما يحببن
لم تقابليه بعبارات الحب العادية
كنت فخورة به على الدوام
وقبل أشهر عندما التقينا
كنت تبتعدين عن تفصيل عمله
في ذلك اليوم أحسست أنه بدأ يخرج لينزرع
يخرج من حب الخوف
لينزرع في الروح
في الوجدان
سيدتي لن أعزيك
لن أقول كلمة عزاء
ليس لاستشهاده وحسب
وليس من قبيل الافتخار بشهادته
بل لأنني أزعم أن عمق جرحك أعمق من جبّ يوسف
وأبعد غوراً من جوف الحوت
وأعلم أن فراق الأم لأحشائها مرّ
يتجاوز بمرارته حداً أطاقه أيوب
شيء واحد يعادل البنوة سيدتي
إنه البنوة ذاتها
ازرعيه حيث شئت
ضعي ثائر في مكانه الذي يستحق
في الميدان ذهب
وفي الميدان زرع دمه
فكل الميادين لك
وكل ذرة تراب غمرها لك فيها عرق آس
لا يفرح الوطن بفقد أبنائه..
لا تسعد الأم بغياب كيانها..
رحل ثائر.. وهل أنسى الطيف الذي التقيته
كان رجلاً منذ ذلك اليوم
رحل ثائر تاركاً لوعة كبيرة
أكبر اللوعة وأعمقها في روح أم وأب
لكما أوجه صمتي
حين عجزت الكلمة عن القول
ولداك في الميدان يبحثان عن حلم لم يكتمل.
والداك يلمان بقايا حلم كان لك ولهما كان لوطن كبرنا به ويكبر بنا
تعملقت في رحلتك لتشبه الوطن
أعطيته دمك... فأعطاك نبل الشهادة

فيلم «عمران» تجربة سينمائيّة سورية في بلاد المغترب

الوطن

يشير الكاتب المعروف «روبرت سوليه» في روايته «الطربوش» إلى مسألة مهمّة جداً في نزوح العائلات السوريّة إلى مصر وأثرها في المجتمع عموماً، ويبدو أن هذا الأثر غدا واضحاً اليوم عبر إنجازات الكثير من السوريين في بلاد المغترب وأصقاع العالم، فبين يومٍ وآخر دائماً نقرأ أخباراً عن إنجازات السوريّين في بلاد الأرض على تنوّعها واختلافها، التي هاجروا إليها بسبب ظروف الأزمة. ومادّتنا اليوم تحمل برهانها أيضاً فيما أشرنا إليه، فإن تصنع فيلماً في ظروف بلدٍ لم تعتد الحياة فيه، ولا تعرف ظروفه، ولم تعش فيه سوى فترة زمنيّة قصيرة! هو أمرٌ يستحقّ التقدير، وهذا ما قدّمه المخرج الشابّ «أحمد درويش» في فيلمه الجديد «عمران» الذي تواصلنا معه بعد رؤية «برومو» الفيلم، واليوم يضع اللمسات الأخيرة على الفيلم ليكون جاهزاً للعرض.

بين الوثائقي والروائي

يقول المخرج «أحمد درويش» في إنجازه لفيلم «عمران» وعن الظروف التي واجهته: «تواصلت بدايةً مع الكاتب «أحمد قصّار» عبر الشابكة من موسكو، وقد كان لي تجربة سابقة معه في فيلم «الحاسة الثانية» عندما كنت في سورية، واطلعت على مجموعة من النصوص التي كتبها فكان أن وقع اختياري على نصّ فيلم «عمران» ويمكنني القول إن ما جذبني للنصّ هو طريقة كتابته الجديدة الذي جاء بين أسلوبين هما الوثائقي والروائي، ولكن لدى العمل لم أستخدم فكرة الوثائقي نفسها فقد شغلتني أكثر ظروف المشاهد الروائيّة والانهماك مع الممثل، كونه غير محترف، وآثرت ألا أظهر الزمان والمكان، فقد تمّت عمليّات التصوير في الطرق والحدائق ويتضح من الصور بأنها في بلد أجنبي لكن غير معروف المعالم، فقد تعمّدت عدم ذكر ذلك، والهدف من الفيلم هو فكرة الغربة التي تعرّض لها السوري حتى داخل بلده نتيجة للحرب البائسة التي نمرّ بها».

الحكاية باختصار

يروي الفيلم حكاية مغترب سوري يتحدّث عن تجربته قبل يوم من الاحتفال بعيد ميلاده الستين، وتنتهي القصة بوفاته طبعاً والأحداث تدور حول مسيرة يوميّة يعيشها وذكريات سابقة عاشها، وقد ذكر لنا المخرج «درويش» بأنّه وجد معاناة في توافر الممثل السوري في موسكو، والممثلون الذين التقاهم شكّل العمر لديه مشكلة فكلّ من التقاهم كانوا من شريحة الشباب على حين الفيلم يتحدّث عن شخصية عمرها ٦٠ عاماً، وعن هذه المسألة يشير: «من الصعب وجود ممثل سوري هنا، وكلّ من التقيته لم تنطبق المواصفات عليه بسبب شرط السنّ، وقد فكرت بممثل روسي، فهناك من يتقن العربية بينهم، لكن هذا سيتطلب مني جهداً أكبر ولم أقتنع بالخطوة تماماً لدى دراسة الأمر بصورة جديّة، وعموماً وقع خياري أخيراً على مغترب لا علاقة له بالوسط الفني، ومهنته كهربائي، لكن بعد أن ناقشته قليلاً رغب في التجربة ثم تورط في مجريات العمل معي، ونجح».

خاصّ بمؤسسة السينما

الفيلم قصير جاء بمدة ١٥ دقيقة، وهو من إنتاج المخرج نفسه، وبمساعدة مدير الإضاءة والتصوير «زياد الحلبي» الذي شاركه في خمس تجارب سينمائيّة حتى اليوم، وفي سياق الحديث عن إمكانية عرض الفيلم في سورية أشار «أحمد درويش» إلى رغبته في ذلك لكنه لا يمتلك الوسيلة للتواصل مع مؤسسة الإنتاج السينمائي، بسبب البعد ولأنّ الشابكة هي وسيلة التواصل المتوافرة لديه اليوم، وهو ليس على معرفة بأي من موظفي المؤسسة لتسيير أمر التواصل.

المهاجر السوري

أمّا عن جديده بعد وضع اللمسات الأخيرة على فيلم «عمران» يقول المخرج «أحمد درويش»: «لدي فيلم جديد وهذه المرة سيكون من كتابتي أيضاً، وموضوعه حول الناس التي هاجرت من سورية عبر البحر».

«أنا كنت رجلاً بسيطاً جداً هذا شرف لي وعار علي»

بابلو نيرودا التشيلي الذي عشق إسبانيا واصطبغت قصائده بلون العتب واللوم

ديالا غنطوس

وطن هي المرأة، امرأة هو الوطن، عالمان ملتصقان، كوكبان يدوران معاً، يلتفان حول نفسيهما ليحتويا بعضهما، غمرة المرأة وطن، حنان الوطن تفاصيل أم، أرض تتمدد لتكون لنا الثرى ونصبح نحن الثريا، هي كذلك المرأة، الأم، الحبيبة، الصديقة، الوطن الحبيب الذي ضاعت تفاصيله في جسد أنثى فأصبح غاية المنتهى والمشتهى، صدق من قال إن المرأة وطن، نحتمي ونستظل به، نرقد بين ذراعيه في الطفولة والصبا والمشيب، لتصبح الحبيبة الأبدية ويصبح الوطن دماً يسري في العروق، فهل تخان الحبيبة؟ وهل يستطيع أحدنا أن يبتعد عنها؟

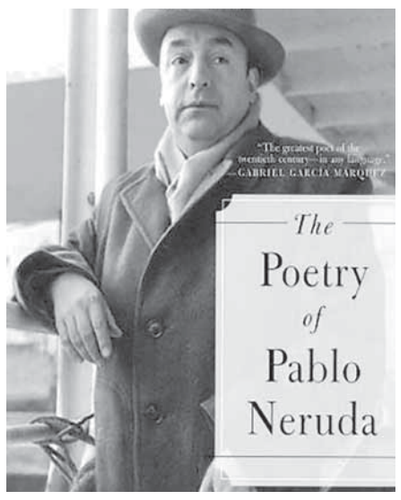

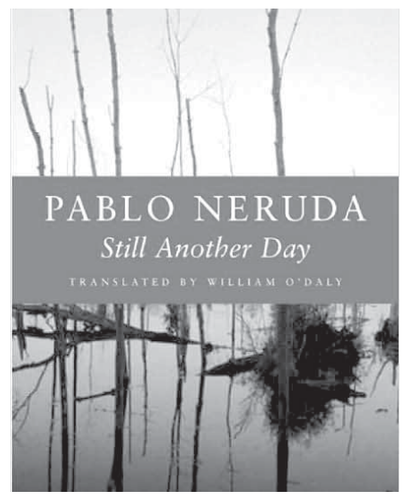

> جسد نيرودا الوطن مقدساً فكان رمزاً للحنين والانتماء له ولقارئه

ثنائية لا يبرع في فن تصويرها إلا من امتلك قلماً مبدعاً، مدركاً لأوجه الشبه بين الموصوفين في تلك العلاقة، وقد أتقن ذلك الفن الشاعر التشيلي الشهير «بابلو نيرودا» فكان ملعبه الذي لا يغلبه فيه أحد، اعتُبر بابلو أحد أهم وأشهر شعراء اللغة الإسبانية والكثير من لغات العالم، حيث انتشرت كتاباته ولاقت رواجاً واهتماماً بالغاً من القراء والنقاد في عصره، فحقق شعبية كبيرة خصوصاً في أميركا الجنوبية، موطنه، وعايش بابلو أحداث القرن العشرين منذ بدايته، حيث إنه ولد عام ١٩٠٤ في قرية بارال التي تتوسط تشيلي، وقد تنقل بين بلدان عدة في الفترة التي كان فيها سفيراً لبلاده من عام ١٩٢٧ حتى ١٩٤٣، وقد أثر فيه إعدام الشاعر والكاتب المسرحي فيدريكو غارثيا لوركا من الثوار القوميين خلال الحرب الأهلية في إسبانيا عام ١٩٣٦، وقد جمعت بينهما علاقة صداقة وطيدة سابقاً، ما دفعه للتوجه للعمل السياسي وتبني أفكار شيوعية متطرفة وجهها ضد الفاشية، ما أعطاه جرعة كبيرة في النشاط السياسي والدفق الفكري الذي ترجمه بكم وفير من الأشعار السياسية، وصار عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وعُرض عليه أن يرشح لرئاسة بلاده لكنه رفض ذلك العرض، إلا أنه شعر لاحقاً بتهديد مباشر ومباغت عام ١٩٤٨ عندما حظر رئيس تشيلي غابرييل فيلدا الحزب الشيوعي وأمر باعتقال بابلو نيرودا، ما دفعه للتواري عن الأنظار والرحيل والهجرة إلى المنفى على ظهر حصان أوصله إلى الأرجنتين.

كان لأشعار بابلو وأعماله الفضل الكبير في تطوير اللغة الشعرية العالمية، فامتاز بأسلوب سردي وتصويري فريد اختلف عن نظرائه من الشعراء الذين عاصروه، ما جعله مؤسساً لما يشبه مدرسة مستقلة في الشعر، بدأ بتأليف القصائد الشعرية وهو في سن الثالثة عشرة، وفي عام ١٩٢٣ ظهرت مجموعته الشعرية الأولى «الشفقيات»، ليأتي بعدها كتابه الثاني حين كان في العشرين من عمره، حمل اسم «عشرون قصيدة حب وأغنية يأس» كتبه عام ١٩٢٤، وتضمن أفكاراً رافضة للظلم والمهانة صوّرها بابلو بأسلوب ساخر وواضح، فواجه صعوبات في نشره حينها، لكنه لاحقاً كان سبب بلوغه الشهرة وهو في سن العشرين، وأكثر أعماله التي حظيت بإعجاب الجماهير كما النقاد، وجرت ترجمته إلى الكثير من اللغات العالمية من بينها اللغة العربية.

تصطبغ قصائد نيرودا بلون من العتب واللوم على عالم صامت، واليأس من أي اكتراث قد يبديه العالم تجاه الفئة المظلومة المكلومة، فنقرأ في قصيدة «أيتها النحلة البيضاء» من المجموعة نفسها:

أيتها النحلة البيضاء التي تحومين داخل روحي،
سكرى بالعسل، وتدورين متمهّلةً كالتفاف الدخان.
أنا اليائسُ، الكلمةُ بلا أصداء،
الذي فقد كل شيء، وكان لديه كل شيء.
أنت الوردة الأخيرة في أرضيَ القاحلة.
آه أيتها الصامتة!
عَرّي جسدكِ الشبيهَ بتمثالٍ خائف.
لك عينان عميقتان ينسكبُ فيهما الليل.
ذراعان نَضرتان من زهرٍ، وحضنٌ من ورد.
ثدياك صَدَفتان بيضاوانِ.
وفراشةٌ من ظلّ جاءت لتنام على صدرك.

قرر بابلو بعد ذلك الانتقال للعيش في سانتياغو عاصمة بلده تشيلي، ودخل عالم الأدب من أوسع أبوابه، لكنه عاد وغادر إلى بورما التي تم تعيينه قنصلاً فخرياً فيها، ليستهل فترة إقامته هناك بكتابة مجموعة قصائد كان عنوانها «إقامة على الأرض» عام ١٩٣٣، غلب عليها طابع الغربة والتشاؤم والفوضوية، إلى أن ذهب مجدداً إلى إسبانيا وكسر قيود عزلته متفاعلاً مع الأحداث السياسية المحيطة، فاتخذت أشعاره نمطاً سياسياً بحتاً، ليعود مجدداً في فترة الخمسينيات من القرن الماضي إلى موطنه تشيلي بعد أن صدر عفو عنه، فنشر حينها أربعة مجلدات تحوي قصائد غنائية كان منها «النشيد العام» و«أناشيده الأولية» التي صدرت خلال تلك الفترة وحظيت بالإعجاب على المستوى الشعبي، وتوالت لاحقاً أعمال بابلو نيرودا ونذكر أهمها وأكثرها شعبية «ذكرى الجزيرة السوداء» عام ١٩٦٤، «أيدي النهار» ١٩٦٨، نهاية العالم ١٩٦٩ و«كتاب الأسئلة» عام ١٩٧٤، الذي تضمن كماً هائلاً من التساؤلات المبدعة التي تركها جميعها من دون أجوبة، ومن أشهر ما كتب نيرودا كانت مجموعة «مئة سوناتة حب» عام ١٩٥٩، أذكر بعض ما جاء فيها:

أنا لا أحبك كوردة من ملح الزبرجد
كما نحب بعض الأشياء الغامضة
إنما بين الظل والنفس، سراً أحبك
أحبك كالنبتة التي لا تزهر
التي تحمل في ذاتها، خبيئاً، ضوء هذه الأزهار
وبفضل حبك يعيش غامضاً في جسمي
العطر المهموم الذي يفوح من الأرض
أحبك ولا أعرف كيف ولا متى ولا أين
أحبك بلا مواربة، بلا كبرياء، بلا مشاكل
أحبك هكذا، ولا أعرف طريقة أخرى للحب

عاد نيرودا إلى حياته الطبيعية وتحرر من الأسى والوحدة في الفترة بين عام ١٩٥٠ حتى ١٩٦٠، حين تزوج من المرأة التي أحبها وعاشا معاً على شاطئ البحر الذي أكسبه بعضاً من السكينة واختلى مع نفسه، فتوحد مع الطبيعة التي كان دوماً جزءاً منها، لكن في عام ١٩٧٠ دق مرض السرطان بابه ولم يتمكن من الشفاء منه بشكل كامل، إلا أن ذلك لم يمنعه من الحصول على العديد من الجوائز التقديرية في الفترة الأخيرة من حياته كان أهمها جائزة نوبل للآداب التي حصل عليها عام ١٩٧١، إضافة إلى الدكتوراه الفخرية من جامعة أوكسفورد، حتى تدهورت صحته عام ١٩٧٣ بعد أن شهد الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال بينوشيه في تشيلي، فتوفي في ٢٣ أيلول من العام نفسه بعد ١٢ يوماً من الانقلاب، تاركاً إرثاً عظيماً أثرى به الأدب العالمي الذي كان أحد أبرز صناعه، فكان من الشعراء القلائل الذين دأبوا من خلال كتاباتهم على تجسيد الوطن على هيئة امرأة، فكانت لهم رمزاً للحنين والانتماء والوفاء.